أسس الحكم الشوري الموسع في الإسلام

الحلقة الثانية والعشرون

الديمقراطية الأثينية في طور النشأة والتكوين

مر بنا في الحلقة السابقة كيف تمكن الأثينيون من التخلص من حكم المستبد: " هيبياس الأثيني" الذي حكم "أثينا" خلال الفترة (528 – 510 قبل الميلاد) وكيف قام الاسبرطيون بقيادة ملكهم: "كليومينس الأول" بغزو البلد وحاصروا أتباع الحاكم في الأكروبوليس وأجبروهم على الاستسلام والخروج منها.

وقد تنازع على السلطة في أثينا بعد الإطاحة بالمستبد "هيبياس" رجلان:

1) الأرستقراطي: "إيزاغوراس" (Isagoras) صديق الملك الإسبارطي: "كليومين الأول" (Cleomenes I)

2) و"كليستينيس" (Κλεισθένης) (Cleisthenes) المسنود من طرف عشيرته "الألكمينيدية" صاحبة الثروة والجاه بالمدينة ومن غالبية السكان.

وقد طلب "إيزاغوراس" من "كليومين الأول" أن يخلصه من منافسه السياسي بحجة أنه ينتمي إلى عائلة ملعونة!

وهو ما تم له فنفي الأخير إلى الخارج إلا أن الأمر لم يقف عند هذا الحد بل تعداه إلى اجتثاث واقتلاع مئات الأشخاص من منازلهم بحجة أنهم كانوا ملعونين أيضا!

ولعل ما أفاض الكأس بالنسبة للأثينيين محاولة "إيزاغوراس" حل "مجلس الشورى" (βουλή ، البولي بالإغريقية). وهو ما قاومه المجلس ووجد مساندة قوية من الشعب الأثيني على ذلك.

وقد ترتب عن هذا الحادث ثورة أرغمت "إيزاغوراس" وأنصاره على الفرار والاعتصام بقلعة الاكروبولوليس ، وظلوا محاصرين هناك من طرف الشعب الأثيني لمدة يومين.

وفي اليوم الثالث اضطروا إلى الفرار خارج أثينا، بعد أن تمكن الأثينيون من تنفيذ عقوبة الإعدام في 300 من أنصاره.

ثم نادى الأثينيون على "كليسثينيس"، جنبا إلى جنب مع مئات من المنفيين للعودة إلى أثينا وتولى قيادة الحكم فيها.

الإصلاحات السياسية ل "كليسثينيس"

ما أن استتب الأمر ل "كليسثينيس" حتى شرع في إدخال بعض التغييرات الجذرية على نظرية الحكم في "أثينا".

من تلك التغييرات:

1) إلغاء التنظيم السياسي القديم الذي أسسه الحاكم: "سولون" المبني على الولاء التقليدي للقبائل الأربعة المكونة للخزان البشري الأثيكي (نسبة إلى منطقة أتيكا المحيطة بمدينة أثينا، أنظر الخريطة المصاحبة)

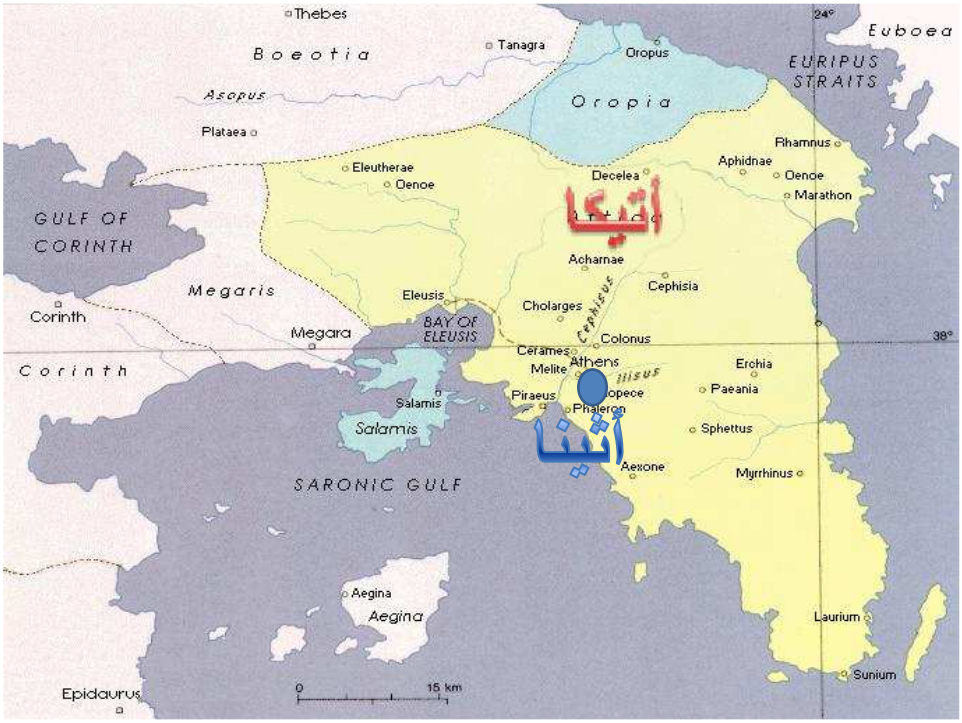

، التي ترتكز على العلاقات الأسرية وإبداله بنظام مكون من عشر قبائل مصطنعة وفقا لأماكن إقامتهم، والتي أطلق عليها اسم: "الديموس" (δῆμος) (demes).

وكان دافعه لهذا التغيير درء الفتنة بين العشائر التقليدية، التي كانت سببا في توليد طغيان الحكام في المقام الأول.

كان "الديموس" في اليونان القديمة يمثل تقطيعاً جغرافيا لأتيكا (المنطقة الملونة باللون الأصفر على الخريطة أعلاه) والمنطقة المحيطة بأثينا واكتسبت أهمية خاصة بعد إصلاحات "كليسثينيس" في سنة 508 قبل الميلاد.

ففي هذه الإصلاحات أصبح التسجيل في قوائم المواطنين ب "الديموس" يعتبر شرطا أساسياً للحصول على المواطنة، بدل ما كان معمولاً به من قبل في اشتراط الانتساب إلى العشيرة ، أي: المواطنة العضوية.

وقد تم إنشاء "ديموسات" جديدة في مدينة أثينا نفسها ، حيث أنها لم تكن موجودة من قبل ، حتى أن عددها بلغ في كل أتيكا 139 ديموسا.

فالمواطن الأثيني بهذا الاعتبار الجديد هو كل من يقطن في أتيكا، وليس بالضرورة في مدينة أثينا بالذات، على الرغم من كونهم جميعا لا بد وأن يذهبوا إلى أماكن سكناهم: "ديموساتهم" من وقت لآخر لإنجاز واجباتهم المدنية.

وقد قسمت الديموسات إلى ثلاثين مجموعة مختلفة أطلق عليها اسم: "التريتوس" (τριττύς) (*trittys*)، والاسم يعني "30" ،

وكان هناك في الواقع 30 تريتوساً في أتيكا يتضمن كل منها 3 أو 4 ديموسا، لأن عدد الديموسات البالغ في مجموعه 139 لا يقبل القسمة على ثلاثة.

وبهذا التقسيم أصبحت كل قبيلة في أثينا تتكون من تجميع ثلاث تريتوسات أو أربعة مختلفة: واحدة من منطقة الساحل ، وواحدة من المنطقة الحضرية، وواحدة من المنطقة الداخلية القروية {أنظر الخريطة المصاحبة}

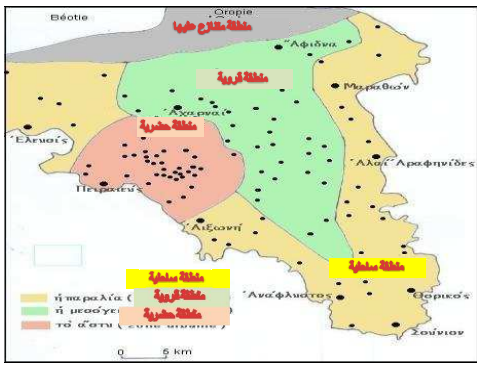

وهو أساس القبائل ((phyla) (φυλαί)) العشر، المفرد: قبيلة (φυλή). لأثينا.

وواضح أن هذا التقطيع الاصطناعي بعثر خصوصيات القبائل الأصلية، وجعل صوتها لا يزن في الرأي سوى الثلث أو الربع ضمن القبيلة الاصطناعية الجديدة.

وهو إصلاح أو بالأحرى هندسة اجتماعية توخت إضعاف الروابط القبلية والولاءات التقليدية للأسرة والأقرباء بالدم وإبدالها برابط الجغرافيا فقط.

ويشتغل "الديموس" في هذا التقطيع الجديد كمدينة مُصغرة، مستقلة في مداخلها وجبايتها وتسييرها الذاتي. ولها كامل الحرية في الاحتفاء بأربابها وبأعيادها المحلية.

وقد حافظ الاسم على استعماله القديم في اليونان المعاصرة، حيث أصبحوا يطلقونه على البلديات.

وتتطابق أول 10 تريوسات مع مدينة أثينا والمناطق المحيطة بها مباشرة، والعشر التالية تتطابق مع المنطقة الساحلية، والعشرة الأخيرة تتطابق مع المنطقة الداخلية.

فاجتماع تريتوس من كل مجموعة من هذه المجموعات الجغرافية الثلاثة المتباعدة الشقة فيما بينها يكون إحدى القبائل العشر السياسية المصطنعة.

وقد فرض على كل قبيلة من هذه القبائل الخلاسية أن ترسل خمسين من أعضائها إلى مجلس مكونة في مجموعها من خمسمائة عضو (500).

ويترأس الأعضاء الخمسون (50) لكل قبيلة الجمعية العامة لمدة شهر (الشهر اليوناني مدته 36 يوما) بالدور.

وهي فترة زمنية أطلقوا عليها اسم"إبروتانيا " (ἡ πρυτανεία).

وكان يتم اختيار المجلس المكون من 500 عضوا ، 50 من كل قبيلة ، عن طريق القرعة, وكل قبيلة تترأس الجلسات لمدة إبروتانيا، بدورها بالقرعة : الأربعة إبروتانيا الأولى مدة كل منها 36 يوما ، والستة الباقية مدتها 35 يوما فقط ، وذلك لأن السنة الأثينية كانت سنة قمرية.

وكان المنتدبون يتناول وجباتهم الغذائية على نفقة الدولة في مكان خاص يعرف ب "الطولوس (θόλος) {بقايا طولوس أثينا} ، وكانت تقع على عاتقهم مسؤولية عقد المجلس: "البولي" (Βουλή) الذي يجتمع كل يوم، والجمعية الشعبية: "الإكليزيا" (ἐκκλησία)، إلي تجتمع أربع مرات في كل شهر.

وكانوا يعلنون يومياً عن جدول عملهم، الذي يتضمن عادة تنظيم أعمال المجلس، والقضايا المطروحة للنقاش، وجدول أعمال جلسات اجتماعات مجلس الشعب.

وكانت جلسات مجلس الشعب تنقسم قسمين: جلسات عادية وجلسات استثنائية.

1) خصصت الجلسات العادية لترسيم المسؤولين والموافقة على تنصيبهم، ومتى تمت الموافقة عليهم، انتقل الممثلون إلى مناقشة مسائل الدفاع عن الوطن، حيث أن لكل مواطن الحق في توجيه اتهامات الخيانة العظمى لأشخاص بأعيانهم.

ويتم في هذه الجلسات أيضا قراءة وضعية الممتلكات المصادرة، والمطالبات من محلات البقالة، وغيرها من الأمور المدنية، مثل النبذ وتبليغ الغش، والخيانات التجارية. وخصصت الجلسة الثانية لفتح أي قضية. وخصصت الجلستين المتبقيتين لدراسة القضايا المتعلقة بالدين وتلك المتعلقة بالدولة، وتلك المتعلقة بالمبلغين العسكريين وبالسفراء. وكان بإمكان مجلس الشعب رفض مشاريع القوانين المقترحة، أو تمريرها بإدخال تعديلات عليها.

مسألة النبذ (ostrakismos) (ὀστρακισμός): وهو إجراء في إطار الديمقراطية الأثينية يمكن من خلاله طرد ونبذ مواطن بارز من الدولة المدينة في أثينا لمدة عشر سنوات.

وبالرغم من وجود حالات معينة يعرب فيها الشعب بوضوح عن غضبه اتجاه شخصية سياسية ما، إلا أنه كثيرا ما كان يتم اللجوء إلى استخدام النبذ كإجراء وقائي، وكوسيلة لنزع

فتيل المواجهات الكبرى بين القادة السياسيين المتنافسين (عن طريق إزالة واحد منهما من المشهد السياسي) ، أو من أجل تحييد شخص يعتقد أنه يشكل خطرا على الدولة ، أو في نفي طاغية محتمل.

واللافت هو أن النبذ لا يمت بصلة إلى العدالة مادامت لا توجد تهمة مباشرة أو دفاع عن الجاني، ولم يكن في واقع الأمر عقوبة، بل أمر من الشعب الأثيني بأنه ينبغي قطع أحد أعضائها من المجتمع لمدة عشر سنوات.

2) يمكن الدعوة إلى الاجتماعات استثنائية أو الطارئة في أي وقت.

وقد أطلق "كليسثينيس" على هذا التنظيم السياسي اسم: (الديمقراطية) (Δημοκρατία) (demokratia). وكلمة الديمقراطية (Δημοκρατία) ؛ مركبة من كلمتين: "ديموس" (δήμος) ، وتعني: "الشعب" ، و"كراتوس" (κράτος) وتعني : "سيادة" وهو ما يترجم حرفيا إلى: "حكم الشعب".

وهي نوع مغالطة، مادام هذا الشعب قد اختزل إلى من يملكون الأرض أو الجاه من الأثينيين الذكور البالغين، الذين يحكمون أنفسهم والآخرين ، بما في ذلك ؛ الإناث ، والعبيد وغيرهم من غير المواطنين.

وكان الأعضاء في مجلس الخمسمائة المكون من المواطنين الذكور الذين تزيد أعمارهم على 30 سنة يشغلون هذا المنصب لمدة سنة واحدة في مجلس واحد ولا يمكنهم أن ينتدبوا لأكثر من ولايتين في العمر.

وكانت غاية "كليسثينيس" من هذا المجلس هو أن يتعلم المواطن فيه مباشرة العمل السياسي عن كثب، والمشاركة في النظام ووالتحفيز على الإخلاص له وهي ضمانات كافية تحول معنويا بين المواطن المشارك وبين التآمر على النظام أو محاولة قلبه أو الإطاحة به.

أنيطت بالمجلس عدة مهام منها:

أ) دعوة الجمعية العامة المكونة من حوالي 21،000 مواطن للانعقاد للبث في الأمور التي تتطلب موافقتها، ومن الملاحظ ومنذ سنة 450 ق. م. أنه كان يتغيب

عن حضور اجتماعات الجمعية ما بين 12000 إلى 15000 عضو، يعملون إما في الجيش أو في البحرية أو في إدارة أعمالهم التجارية.

ب) التحقق من مؤهلات المسؤولين وتتبع تخصيص الأموال. والإشراف على بناء الأحواض ومسح المباني العامة.

ت) جمع إيجارات الأراضي العامة وإدارتها وإعادة توزيع الممتلكات المصادرة.

ث) فحص الخيول من سلاح الفرسان وتدبير معاشات التقاعد الحكومية واستقبال الوفود الأجنبية.

وباختصار فقد كان المجلس يدبر جميع الأعمال اليومية للدولة الأثينية.

وقد اقتصرت العضوية في المجلس لمدة سنة واحدة، مع وجود خيار للعمل لفترة ولاية ثانية.

وكان يتحتم على المجلس في كل عام ، اختيار ما لا يقل عن 250 عضوا جديدا.

وكان العمل في مجلس الخمسمائة وظيفة بدوام كامل كان العضو يتلقى تعويضاً مقابل ذلك.

هذه الديمقراطية المباشرة تمكن من اختيار 500 من أعضاء المجلس و550 من الحراس بالقرعة كل سنة من قرى مدينة أثينا وتبحث في مؤهلاتهم قبل أن يتم اختيارهم.

وقد كفل هذا الدوران السريع للمجلس أمرين ؛

أ) التأكد من أن عددا كبيرا من سكان اثينا سيشغلون مناصب سياسية في حياتهم،

ب) الإغراء والاحتفاظ بالعضوية.

وقد تشكلت الجمعية العامة من جميع المواطنين الذين لم يخدموا في مجلس الخمسمائة أو لم يشغلوا وظائف عمومية.

تعقد الجمعية أربعين اجتماعا منتظماً في السنة، أربع جلسات في كل شهر يوناني (فترة من 35 يوما).

خصوصيات الديمقراطية الأثينية

إحدى خصوصيات هذه الديمقراطية الأثينية، التي ورثت عنها جميع الديمقراطيات الغربية المعاصرة لحمها وعظمها، هي أنها كانت فئوية ولا تختص سوى بطبقة محدودة من

المواطنين الآثينيين الذكور البالغين، حيث حرمت النساء، وهن نصف السكان منها، وكذلك العبيد.

لاحظ أنه:

أ) من بين سكان أثينا البالغ عددهم 250،000 نسمة، لم يكن يتعدى عدد المواطنين الذكور البالغين في المتوسط 30000 أي أنهم يشكلون قل من ثمن السكان (⅛)،

ب) ومن بين هؤلاء 30000 ، فحوالي 5000 فقط كانوا يتمكنون من حضور اجتماعات الجمعية الشعبية. أي سدس المواطنين.

وهذا يعني أن حوالي 2 % فقط من السكان هم المعنيون بهذه اللعبة الديمقراطية!

فهذه حقيقة تاريخية تدمغ بشكل واضح ادعاءات أولئك الذين يصرون على القول بأن الديمقراطية الأثينية تعبر عن حكم الشعب، من دون النظر إلى نسبة عدد الأشخاص المشاركين؟

ويمكن مقارنة الديمقراطية الأثينية بناد مغلق، موصودة أبوابه أمام الأجانب، حتى ولو كانوا قد أقاموا بين ظهرانهم لأجيال. وأقصى ما سيتم منحه لأحد هؤلاء الأجانب هو نعمة الضيف أو المحمي، بينما تظل المواطنة الكاملة بعيدة عن مناله بعد الثريا. والأجانب الوحيدون، الذين يمكنهم حضور هذا النادي، دون التمتع قط بعضويته هم الخدم والعبيد.

وتسيطر هذه الطبقة الأرستقراطية، التي تتألف من ملاك الأراضي في المدن الكبيرة من خلال المجالس الخاصة بكل منها، على مسار الحياة السياسية، بما لا يختلف في قليل أو كثير عما نشاهده في ديمقراطيات عصرنا.

وبعبارة أخرى:؛

فعدا في حالات قليلة من الوعي الرفيع واليقظة السياسية، فالمال، والمال وحده، ظل ولا يزال يحسم الوضع الاجتماعي سواء في أثينا، أو باريس، أو لندن ، أو واشنطن ، أو حتى في طوكيو في الآونة الأخيرة....

أصبحت أثينا حوالي 460 قبل الميلاد ، تحت قيادة بريكليس (490-429 قبل الميلاد) **، الذي سيهيمن على الساحة السياسية في المدينة لأكثر من أربعين عاما، رمزا للثقافة اليونانية الكلاسيكية.**

كانت المدينة تتباهى باحتوائها على روائع الهندسة المعمارية ، مثل ؛ البارثينون (Parthenon)، الاكروبوليس (the acropolis) ، معبد هفستش (the temple of Hephaestus,)،.....] بجانب كونها المكان الذي يوجد فيه: الفن، والبلاغة، والخطب، والفلسفة والشعر والقوة العسكرية التي أدت إلى إنتاجية فكرية غير عادية كعلامة بارزة لهذه الفترة.

لقد عاش هذا الجيل من سكان اثينا خلال الحرب البيلوبونيسية (431-404 قبل الميلاد).

وكان العصر الرائع الذي أنتج العديد من المفكرين مثل المؤرخين؛ ثيوسيديدس (*Thucydides*) 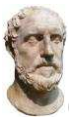 **وهيرودوتوس (*Herodotus*)** 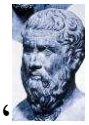 **، والفلاسفة: سقراط (*Socrates*)** **، وسوفوكليس (*Sophocles*)، ويوريبيديس (*Euripides*)** 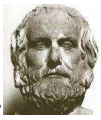 **، وأريستوفانيس** 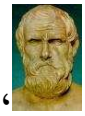 **، وجمهرة كبيرة من السفسطائيين.**

وسيفرخ هؤلاء مشاهير آخرين مثل ؛ أفلاطون (*Plato*) 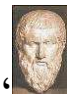 **، وكسينوفون (Xenophon)** 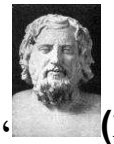 **، من بين آخرين.**

لكن، قبع وراء هذه الصورة الزاهية والمتوهجة لأثينا كون غالبية سكانها كانوا من الرقيق الذين يفتقرون إلى الحقوق السياسية ولا يتمتعون بالمواطنة.

وهي حقيقة محزنة للحياة السياسية جعلت بعض المفكرين السياسيين المعاصرين يلاحظون؛

من دون الرق، ما كان لديمقراطية بيريكليس أن تكون.

انتهى وتليه الحلقة الثالثة والعشرون

ملامح الديمقراطية الأثينية وإنجازاتها